تفسير إبن كثير

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا

قال قتادة : ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا ، فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، فنحن أولى بالله منكم . وقال المسلمون : نحن أولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين ، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فأنزل الله : (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به) (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن [واتبع ملة إبراهيم حنيفا]) الآية . فأفلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان .وكذا روي عن السدي ، ومسروق ، والضحاك وأبي صالح ، وغيرهم وكذا روى العوفي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : تخاصم أهل الأديان فقال أهل التوراة : كتابنا خير الكتب ، ونبينا خير الأنبياء . وقال أهل الإنجيل مثل ذلك . وقال أهل الإسلام : لا دين إلا الإسلام . وكتابنا نسخ كل كتاب ، ونبينا خاتم النبيين ، وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا . فقضى الله بينهم فقال : (

ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به) وخير بين الأديان فقال : (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه الله وهو محسن [واتبع ملة إبراهيم حنيفا]) إلى قوله : (واتخذ االله إبراهيم خليلا)وقال مجاهد : قالت العرب : لن نبعث ولن نعذب . وقالت اليهود والنصارى : (لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) [البقرة : 111] وقالوا (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) [البقرة : 80] .والمعنى في هذه الآية : أن الدين ليس بالتحلي ولا بالتمني ، وليس كل من ادعى شيئا حصل له بمجرد دعواه ، ولا كل من قال : " إنه هو المحق " سمع قوله بمجرد ذلك ، حتى يكون له من االله برهان ; ولهذا قال تعالى : (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب) أي : ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني ، بل العبرة بطاعة االله ، واتباع ما شرعه على ألسنة رسله الكرام ; ولهذا قال بعده : (من يعمل سوءا يجز به) كقوله (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) [الزلزلة : 7 ، 8] .وقد روي أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على كثير من الصحابة . قال الإمام أحمد : حدثنا عبد االله بن نمير ، حدثنا إسماعيل ، عن أبي بكر بن أبي زهير قال : أخبرت أن أبا بكر قال : يا رسول االله ، كيف الصلاح بعد

هذه الآية : (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به) فكل سوء عملناه جزينا به ؟ فقال النبي صلى االله عليه وسلم : " غفر االله لك يا أبا بكر ، ألست تمرض ؟ ألست تنصب ؟ ألست تحزن ؟ ألست تصيبك اللأواء ؟ " قال : بلى . قال : " فهو ما تجزون به " .ورواه سعيد بن منصور ، عن خلف بن خليفة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، به . ورواه ابن حبان في صحيحه ، عن أبي يعلى ، عن أبي خيثمة ، عن يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، به . ورواه الحاكم من طريق سفيان الثوري ، عن إسماعيل به .وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن زياد الجصاص ، عن علي بن زيد ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : سمعت أبا بكر يقول : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " من يعمل سوءا يجز به في الدنيا " .وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا أحمد بن هشيم بن جهيمة ، حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا زياد الجصاص ، عن علي بن زيد ، عن مجاهد قال : قال عبد االله بن عمر : انظروا المكان الذي به عبد االله بن الزبير مصلوبا ولا تمرن عليه . قال : فسها الغلام ، فإذا ابن عمر ينظر إلى ابن الزبير فقال : يغفر االله لك ثلاثا ، أما واالله ما علمتك إلا صواما قواما وصالا للرحم

، أما واالله إني لأرجو مع متساوي ما أصبت ألا يعذبك االله بعدها . قال : ثم التفت إلي فقال : سمعت أبا بكر الصديق يقول : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " من يعمل سوءا في الدنيا يجز به " .ورواه أبو بكر البزار في ، عن الفضل بن سهل ، عن عبد الوهاب بن عطاء ، به مختصرا . وقد قال في مسند ابن الزبير : حدثنا إبراهيم بن المستمر العروفي حدثنا عبد الرحمن بن سليم بن حيان ، حدثني أبي ، عن جدي حيان بن بسطام ، قال : كنت مع ابن عمر ، فمر بعبد االله بن الزبير وهو مصلوب ، فقال : رحمك االله أبا خبيب ، سمعت أباك - يعني الزبير - يقول : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " من يعمل سوءا يجز به في الدنيا والأخرى " ثم قال : لا نعلمه يروى عن الزبير إلا من هذا الوجه .وقال أبو بكر بن مردويه : حدثنا أحمد بن كامل ، حدثنا محمد بن سعد العوفي ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا موسى بن عبيدة ، حدثني مولى ابن سباع قال : سمعت ابن عمر يحدث ، عن أبي بكر الصديق قال : كنت عند النبي صلى االله عليه وسلم فنزلت هذه الآية : (من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون االله وليا ولا نصيرا) فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " يا أبا بكر ، هل أقرئك آية نزلت علي ؟ " قال : قلت : بلى يا رسول االله .

فأقرأنيها فلا أعلم إلا أني وجدت انقصاما في ظهري حتى تمطأت فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " ما لك يا أبا بكر ؟ " قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول االله ، وأينا لم يعمل السوء ، وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه ؟ ! فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " أما أنت وأصحابك يا أبا بكر المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا االله ، وليس لكم ذنوب ، وأما الآخرون فيجمع لهم ذلك حتى يجزوا به يوم القيامة " .وهكذا رواه الترمذي عن يحيى بن موسى ، وعبد بن حميد ، عن روح بن عبادة ، به . ثم قال : وموسى بن عبيدة يضعف ، ومولى ابن سباع مجهول .[وقال ابن جرير : حدثنا الغلام ، حدثنا الحسين ، حدثنا الحجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني عطاء بن أبي رباح قال : لما نزلت قال أبو بكر : يا رسول االله ، جاءت قاصمة الظهر ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " إنما هي المصائب في الدنيا "] .طريق أخرى عن الصديق : قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إسحاق العسكري ، حدثنا محمد بن عامر السعدي ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن سليمان بن مهران ، عن مسلم بن صبيح ، عن مسروق قال : قال أبو بكر [الصديق] يا رسول االله ، ما أشد هذه الآية : (من يعمل سوءا يجز به) ! فقال

رسول االله صلى االله عليه وسلم : " المصائب والأمراض والأحزان في الدنيا جزاء "

.طريق أخرى : قال ابن جرير : حدثني عبد االله بن أبي زياد وأحمد بن منصور قالا حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا عبد الملك بن الحسن الحارثي ، حدثنا محمد بن زيد بن قنفذ عن عائشة ، عن أبي بكر قال : لما نزلت : (من يعمل سوءا يجز به) قال أبو بكر : يا رسول االله ، كل ما نعمل نؤاخذ به ؟ فقال : " يا أبا بكر ، أليس يصيبك كذا وكذا ؟ فهو كفارة " .حديث آخر : قال سعيد بن منصور : أنبأنا عبد االله بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أن بكر بن سوادة حدثه ، أن يزيد بن أبي يزيد حدثه ، عن عبيد بن عمير ، عن عائشة : أن رجلا تلا هذه الآية : (من يعمل سوءا يجز به) فقال : إنا لنجزى بكل عمل ؟ هلكنا إذا . فبلغ ذلك رسول االله صلى االله عليه وسلم فقال : " نعم ، يجزى به المؤمن في الدنيا ، في نفسه ، في جسده ، فيما يؤذيه " .طريق أخرى : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سلمة بن بشير ، حدثنا هشيم ، عن أبي عامر ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : قلت : يا رسول االله ، إني لأعلم أشد آية في القرآن . فقال : " ما هي يا عائشة ؟ " قلت : (من يعمل سوءا يجز به) فقال : " هو ما يصيب العبد المؤمن حتى النكبة ينكبها " .رواه

ابن جرير من حديث هشيم ، به . ورواه أبو داود ، من حديث أبي عامر صالح بن رستم الخزاز به .طريق أخرى : قال أبو داود الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أمية أنها سألت عائشة عن هذه الآية : (من يعمل سوءا يجز به) فقالت : ما سألني عن هذه الآية أحد منذ سألت عنها رسول االله صلى االله عليه وسلم ، سألت رسول االله صلى االله عليه وسلم فقال : " يا عائشة ، هذه مبايعة االله للعبد ، مما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكة ، حتى البضاعة يضعها في كمه فيفزع لها ، فيجدها في جيبه ، حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الأحمر من الكير " .طريق أخرى : قال ابن مردويه : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا أبو القاسم ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا أبو معاوية ، عن محمد بن إسماعيل ، عن محمد بن زيد بن المهاجر ، عن عائشة قالت : سئل رسول االله صلى االله عليه وسلم عن هذه الآية : (من يعمل سوءا يجز به) قال : " إن المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في الفيظ عند الموت " .وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين ، عن زائدة ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عائشة قالت : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " إذا كثرت ذنوب العبد ، ولم يكن له ما يكفرها ، ابتلاه االله

بالحزن ليكفرها عنه " .حديث آخر : قال سعيد بن منصور ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمر بن عبد الرحمن بن محيصن ، سمع محمد بن قيس بن مخرمة ، يخبر أن أبا هريرة ، رضي االله عنه ، قال : لما نزلت : (من يعمل سوءا يجز به) شق ذلك على المسلمين ، فقال لهم رسول االله صلى االله عليه وسلم : " سددوا وقاربوا ، فإن في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها ، والنكبة ينكبها " .وهكذا رواه أحمد ، عن سفيان بن عيينة ، ومسلم والترمذي والنسائي ، من حديث سفيان بن عيينة ، به ورواه ابن مردويه من حديث روح ومعتمر كلاهما ، عن إبراهيم بن يزيد عن عبد االله بن إبراهيم ، سمعت أبا هريرة يقول : لما نزلت هذه الآية : (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به) بكينا وحزنا وقلنا : يا رسول االله ، ما أبقت هذه الآية من شيء . قال : " أما والذي نفسي بيده إنها لكما نزلت ، ولكن أبشروا وقاربوا وسددوا ; فإنه لا يصيب أحدا منكم في الدنيا إلا كفر االله بها خطيئته ، حتى الشوكة يشاكها أحدكم في قدمه " .وقال عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد وأبي هريرة : أنهما سمعا رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول : " ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا سقم ولا حزن ، حتى الهم

يهمه ، إلا كفر به من سيئاته " أخرجاه .حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن سعد بن إسحاق ، حدثتني زينب بنت كعب بن عجرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رجل لرسول االله صلى االله عليه وسلم : أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ؟ ما لنا بها ؟ قال : " كفارات " . قال أبي : وإن قلت ؟ قال : " وإن شوكة فما فوقها " قال : فدعا أبي على نفسه أنه لا يفارقه الوعك حتى يموت ، في ألا يشغله عن حج ولا عمرة ، ولا جهاد في سبيل االله ، ولا صلاة مكتوبة في جماعة ، فما مسه إنسان إلا وجد حره ، حتى مات ، رضي االله عنه . تفرد به أحمد .حديث آخر : روى ابن مردويه من طريق حسين بن واقد ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : قيل : يا رسول االله : (من يعمل سوءا يجز به) ؟ قال : " نعم ، ومن يعمل حسنة يجز بها عشرا . فهلك من غلب واحدته عشرا " .وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن : (من يعمل سوءا يجز به) قال : الكافر ، ثم قرأ : (وهل نجازي إلا الكفور) [سبأ : 17] .وهكذا روي عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير : أنهما فسرا السوء هاهنا بالشرك أيضا .وقوله : (ولا يجد له من دون االله وليا ولا

نصيرا) قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : إلا أن يتوب فيتوب االله عليه . رواه ابن أبي حاتم .والصحيح أن ذلك عام في جميع الأعمال ، لما تقدم من الأحاديث ، وهذا اختيار ابن جرير ، واالله أعلم .